Journal of the University of Babylon for Humanities مَجلّة جَامعة بَابل للعُلوم الإنسَانيّة
Vol. 31/ No. 8/ 2023 المجلد ٣١/ العدد ٨/ ٢٠٢٣

جماليات المحسنات البديعية في شعر السيد الحميري: الجناس والطباق أنموذجًا

أحمد سالم عبيد الشمري
كلية القانون/ جامعة بابل
ahmed.alshemry@uobabylon.edu.iq

تاريخ استلام البحث: ٢١ / ٦ /٢٠٢٣ **تاريخ قبول النشر:** ١٦ / ٧ /٢٠٢٣ **تاريخ نشر البحث:** ٢١ /٨ / ٢٠٢٣

المستخلص

يسعى هذا البحث إلى إمعان النظر في شعر السيد الحميري باحثًا عن الجوانب الجمالية التي يتركها علم البديع على النص الشعري، بتسليط الضوء على عنصرين مهمين من عناصره، وهما: (الجناس والطباق) تاركا أثرًا جماليًا واضحًا في تشكيل البنية الإيقاعية الداخلية لشعر السيد الحميري، وأسهم هذا الأثر الجميل في خلق نغمات موسيقية تخدم المعنى المراد إيصاله إلى المتلقي من جهة، وتقويته من جهة أخرى.

الكلمات الدالة: السيد الحميري، علم البديع، دراسة جمالية، الإيقاع الداخلي

The Aesthetics of Al-Muhsinat Al-Badi'iyyah in the Poetry of Al-Himyari: Pun and Antithesis as Models

Ahmed Salim Obaid Al Shammary
College of Law /University of Babylon

Abstract:

This research seeks to look closely at the poetry of Mr. Al-Himyari in search of the aesthetic aspects left by the science of the beautiful on the poetic text, by highlighting two important elements of its elements, namely (alliteration and counterpoint) that left a clear aesthetic impact in shaping the internal rhythmic structure of the poetry of Mr. Al-Himyari This beautiful effect has contributed to the creation of musical tones that serve the meaning intended to be communicated to the recipient on the one hand, and to strengthen it on the other hand.

Keywords: Al-Sayed Al-Hamiry, Al-Badi', aesthetic study, internal rhythm.

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين محمد، وعلى آله الطيبين الطاهرين.

وبعد:

فقد اهتم الشعراء العرب منذ الجاهلية بتوظيف الفنون البديعية في أشعارهم، وكان وراء هذا الاهتمام غايات كثيرة تتمثل بغرض التنبه، وإثارة اهتمام المتلقي، زيادة على ما تمتلكه هذه الفنون الجمالية من القدر والقيمة والمكانة التي لا تقل من مكانة العلوم البلاغية الأخرى، لاسيما إذا كان توظيفها فطريًا طبيعيًا غير متكلفٍ فيه، ولقد شهد استعمال البديع لدى شعراء العصر العباسي ازدهارا مفطرًا، وأصبحت له مكانةً جمالية في أشعارهم، ومن هنا جاءت أهمية هذه الدراسة في محاولة جادة للكشف عن جمالية الإيقاع الداخلي المتمثلة بتسليط الضوء على عنصرين بديعين قد سجلا حضورًا لافتًا في شعر السيد الحميري (ت١٧٣هـ)، وهما: (الجناس والطباق).

وقد اقتضت طبيعة الدراسة أن تقسم على مبحثين، سبقهما تمهيد سجل الحديث عن نبذة مختصرة من حياة السيد الحميري، وتلتهما خاتمة دونت أهم النتائج التي توصل إليها البحث، وتناول المبحث الأول تعريف الجناس لغة واصطلاحًا، ومن ثم ذكر أبرز أنواع الجناس التي وردت في شعر السيد الحميري مع أمثلة تطبيقية، في حين درس المبحث الثاني فن الطباق لغة واصطلاحًا، زيادة على ذكر أبرز أنواع الطباق التي وظفها الشاعر الحميري.

التمهيد: نبذة عن حياة السيد الحميري:

١-اسمه ونسبه:

هو إسماعيل بن محمد بن يزيد بن ربيعة بن مفزع الحميري[١:٧/٢٢٩] و[٢:٢/٣٩٩] و[٣:٣/٤٠٥] و[٤:ص٦٣]، كان أبوه من الخوارج الإباضية، وكان منزلهما في البصرة في عرفة بني ضبّ[١:٧/٢٣٠] و[٥:١/٤٣٧] و[٦: ٢/٦٨]، وقد اختلفت الروايات في كونهما من الخوارج الإباضية، إذ يرى بعضم أنّهما شيعيّان[٧:٣/٢٤٤] و[٤:ص٦٩].

أما مذهبه فكان كيسانيًا يقول برجعة محمد بن الحنفية، إلاّ أنّه استغفر من اعتقاده هذا في ما بعد حينما لقي الإمام الصادق (عليه السلام) ودان بالإمامة ورجع إلى الحق[٣:٣/٤٠٧]. كان يكنى بأبي عامر[٨:٢/٢٨٦]، أو بأبي هاشم[١:٧/٢٩٩] على اختلاف الروايات، ويلقب بالسيد[١:٧/٢٩٩] ؛ لأنّه من ولد فاطمة (عليها السلام) [٩: ص١٨٦].

٢- مولده ونشأته:

على الرغم من اختلاف الروايات في مكان ولادته ونشأته، إلاّ أنّ الباحث يؤيد الرواية التي اتفقت عليها أغلب المصادر، التي تشير إلى أن السيد الحميري قد ولد في عمان سنة ١٠٥هـ، فاستقبل أبواه ولادته بما يستقبل به عادةً الآباء ولادات أبنائهم من سرور وفرح وارتياح، ثم سارا على سنن العرب المعروفة فاختارا له اسما تقبله الأذواق، فكان يدعى من ذلك اليوم بإسماعيل[١٠:١/١٨٨] و[١١:١/٦٧] و[١٢:ص ١١٠].

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

وقد نشأ بداية حياته في البصرة في كنف والديه الإباضيين إلى أن عقل وشعر فهاجرهما، ثم اتصل بالأمير عقبة بن مسلم ونزل عنده حتى مات والداه فورثهما ثم غادر البصرة إلى الكوفة، وعاش مترددًا بينهما حتى وفاته[٥: ١/٤٣٨] و[١٣:ص٢٣٩].

٣- ثقافته:

لقد تعددت منابع الثقافة التي نهل منها السيد الحميري علومه، فمثلت المساجد التي ألفها في بلده وأكثر من زيارتها رافدًا ثقافيًا مهمًا في حياته، زيادة على حلقات الدرس المنتشرة في تلك المساجد التي كانت تدرس القرآن الكريم، وأحاديث النبي محمد (صلى الله عليه وعلى آله وسلم)[٤:ص٧٥]. وكذلك مثلت طبقات الأدب والشعر منبعًا ثقافيًا آخرًا زين به علومه، إذْ كانت البصرة عامرة بهذه الحلقات آنذاك فيها العديد من رواة الشعر وحفظته ونقاده، فكان يحفظ منهم أكثر ما يمكنه من قصائد القدماء والمحدثين[١: ٧/٢٣٧]. كذلك كان لشعر امرئ القيس نصيبٌ وافرٌ في حفظه نظرًا لما يخصه نقاد البصرة من الاهتمام به[١٤: ١٠/٦٥١].

٤- أقوال العلماء فيه:

أ- تحدث عنه ابن عبد ربه (ت ٣٢٨هـ) في العقد الفريد، قائلًا:((السيد الحميري وهو رأس الشيعة، وكانت الشيعة من تعظيمها له تُلقي له الوسادة في مسجد الكوفة))[١٥: ٢/٢٨٩].

ب- وذكره أبو فرج الأصفهاني (ت ٣٥٦هـ) في أغانيه، قائلًا: ((كان السيد الحميري شاعرًا مُتقدمًا مطبوعًا، يقال: إنّ أكثر الناس شعرًا في الجاهلية والإسلام ثلاثة: بشّار، وأبو العتاهية، والسيّد، فإنّه لا يعلم أنّ أحدًا قدر على تحصيل شعر أحدٍ منهم أجمع))[١: ٧/٢٣٤].

ت- أما الشيخ الطوسي (ت ٤٦٠هـ) فقد ذكره في رجاله، قائلًا: ((إسماعيل بن محمد الحميري، السيد الشاعر يُكنى أبا عامر))[١٦: ٢/٥٧٤].

ث- ذكره ابن شهر آشوب (ت ٥٨٨هـ) في المعالم، قائلًا: ((الحميري؛ من أصحاب الصادق (عليه السلام) ولقي الكاظم))[١٧: ص١٨١].

ج- وقال عنه العلامة الحلي (ت ٧٢٦هـ) في الخلاصة: ((ثقة، جليل القدر، عظيم الشأن والمنزلة، رحمه الله))[١٨: ٢/٢٢].

٥- وفاته:

مما روي عن قصة وفاة السيد الحميري رحمه الله، قول أحد العلماء: ((حضرت السيد ببغداد عند موته، فقال لغلامٍ له: إذا مُتُّ فأتِ مجمع البصريين وأعلمهم بموتي وما أظنّه يجيءُ منهم إلاّ رجلٌ أو رجلان، ثم أذهب إلى مجمع الكوفيين فأعلمهم بموتي؛ فإنّهم ليسارعون إليَّ ويكبرون، فلمّا مات فعل الغلام ذلك، فما أتى من البصريين إلاّ ثلاثة معهم ثلاثة أكفان وعطر، وأتى من الكوفيين خلقٌ عظيمٌ ومعهم سبعون كفنًا، ودفنوه في منطقة الرميلة ببغداد))[١: ٧/٢٧٧]، وكان ذلك في خلافة الرشيد سنة ١٧٣ للهجرة [٨: ٢/٣١٧]. وقيل سنة ١٧٨ للهجرة [١: ٧/٢٧٧].

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

المبحث الأول:- الجناس:

الجناس لغةً:

عرّفه صاحب لسان العرب بأنه:((أعم من النوع ومنه المجانسة والتجنيس، ويقال هذا يجانس هذا أي يشاكله وفلان يجانس إليها ولا يجانس الناس))[١٩: ٣٨٣/٢]، وورد في معجم مقاييس اللغة بأنه: ((الضرب من الشيء))[٢٠: ٣٩٥/١]، وفي مختار الصحاح: ((الجنس الضرب من الشيء وهو أعم من النوع ومنه المجانسة والتجنيس))[٢١: ٩١٥/٣]، وفي كتاب العين: ((جنس، كل ضرب من الشيء، الناس والطير وحدود النّحو والعروض، والأشياء تجمع على أجناس ويسمى جناسًا لمجيء حروف ألفاظه من جنس واحد ومادة واحدة))[٢٢: ٥٥/٦]، أما في المعجم الوسيط فقد ورد: ((جنست الرطب جنسًا، أي نضجت كلها فكأنها جنس واحد، وجانسه: شاكله واتحد في جنسه، وجنس الأشياء شاكل بينها ونسبها إلى جنسها وأجناسها، وتجانسا: اتحدا في الجنس))[٢٣: ١٤٠/١].

الجناس اصطلاحًا:

هو لون بديعي مثير للإعجاب لما يحتويه من قيمة موسيقية جمالية عالية، وقد نال إعجاب العديد من النقاد والبلاغيين، ويبدو أن أول من تحدث عنه هو الأصمعي (ت ٢١٦هـ) في كتابه الأجناس، وأشار ابن المعتز(ت٢٩٦هـ) إلى ذلك بقوله: ((التجنيس أن تجيءَ الكلمةُ تجانسُ أخرى في بيت شعرٍ أو كلام، والمجانسة أن تُشبه اللفظةُ في تأليف حروفها على الوجه الذي ألَّف الأصمعي كتاب الأجناس عليه))[٢٤:ص٢٥]، وتناول النقاد والبلاغيون بعد ابن المعتز مصطلح الجناس، وحدّوه بتعريفات متقاربة في الدلالة، فعرّفه أبو الهلال العسكري(ت ٣٩٥هـ) قائلًا: ((التجنيس: أن يورد المتكلمَ كلمتين تجانس كل واحدة منها صاحبتها في تأليف حروفها))[٢٥: ص٢٨٩]، وقال السكاكي(ت٦٢٦هـ) في حدِّ التجنيس:((هو تشابه الكلمتين في اللفظ))[٢٦: ص٢٧٧]، وعرّفه ابن الأثير(ت ٦٣٠هـ) بقوله: ((وحقيقته أن يكون اللفظ واحدًا والمعنى مُختلفًا))[٢٧: ٢٦٢/١]، وسار القزويني (ت ٧٣٩هـ) بتعريفه على خطى السكاكي فعرّفه قائلًا: ((الجناس بين اللفظتين وهو تشابهما في اللفظ))[٢٨: ٢٣٨/١].

وبالنظر في كلا التعريفين (اللغوي والاصطلاحي) للفظة الجناس، نلحظ بينهما وجود علاقة تقارب مطلقة على المستوى الدلالي، فالجناس وسيلة بديعية مشوقة تتمثل باحتواء الألفاظ على معانٍ مختلفة تشترك في الجذر اللغوي[٢٩: ٤١٢/٤]. وقد طرز السيد الحميري شعره بتقنية الجناس لما يحمله من قدرة على جذب انتباه المتلقي من جهة، وخلق جوّ موسيقيٍّ في النص الشعري من جهة أخرى. وسنقتصر في بحثنا هذا على دراسة بضعة أنواع من تقسيمات الجناس –الرئيسة لا الفرعية– التي سجلت حضورا لافتًا في شعر السيد الحميري، وهي كالآتي:

١- الجناس الاشتقاقي: وهو ما توافق فيه اللفظان المنتميان إلى أصل واحد، أي أن يجمعهما اشتقاق من بعضهما[٣٠:ص١٤٤]، وقد شهد هذا النوع حضورًا فاق بقية الأنواع الأخر لدى السيد الحميري، ويبدوا أن غاية

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

هذا الحضور تكمن في محاولته لإثراء موسيقى قصيدته بالنغم الجمالي المتحقق من اشتقاق اللفظة نفسها، ومن أمثلته التي وردت، قوله: (من المتقارب) [٣١:ص٧٦].

دعاه ابنُ أمِنةَ المصطفى ... وكان رشيدَ الهُدى مُرْشدا
فصلى الصلاة وصامَ الصّيامَ ... غلامًا ووافى الوَغى آمْردا
فلمْ يَرَ يومًا كأيامه ... ولا مثل مشهَدِه مَشهدا

جانس الشاعر في البيت الأول بين لفظتي (رشيد، ومرشدا)، وجناس في البيت الثاني بين لفظتي (صلّى، والصلاة) و(صام، والصيام)، أما في البيت الرابع فقد جانس بين لفظتي (يوما، أيامه) و(مشهد، مشهدا) وجاءت جميع هذه الجناسات مشتقة من أصل واحد، زيادة على أنها مختلفة في الدلالة وهذه غاية الجناس بمفهومه العام، وقد حققت جميعها انسجامًا صوتيًا مؤثرًا داخل النص الشعري من خلال توفير بنية إيقاعية جمالية في كل بيت من القصيدة.

وتحضر صورة أخرى من هذا النوع من الجناس في قصيدة قالها يوم الغدير مضمناً خلالها خطبة النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، (من الرجز)[٣١:ص١٥٦] وينظر[٣١:ص٢٢، ٤٦، ٥٥، ٧٤، ٨٩، ٩٨، ١٣٩، ١٥٢، ١٦٦، ١٧١، ٢٠٥، ٢٢٤]

يا عجبًا وللزمانِ عجبٌ ... يلقى ذوو الفكر بهِ ضلالها
أن رجالا بايعَته إنما ... بايعَت الله فيما بَدالها
وكيْف لم تشهدْ رجال عندما ... أشهَدَ في خطبتِه رجالها

لقد حصل الجناس الاشتقاقي في هذه الأبيات بين الألفاظ (عجبا–عجبٌ، بايعته– بايعت، نشهد– أشهد، رجال– رجالها)، محققًا بها تناغمًا موسيقيًا جماليًا اكتنزت به هذه الأبيات، ونلحظ كذلك أن توظيفه لهذا الجناس كان توظيفاً حسناً غير متكلفٍ ساهم في تأسيس موسيقى النص الشعري بالتواشج الإيقاعي الذي خدم المعنى المراد إيصاله إلى القارئ/ المتلقي بهذه التقنية الموسيقية الجميلة.

٢– الجناس غير التام: وهو الجناس الفاقد لواحد أو أكثر من شروط الجناس التام المعروفة، والمتفق في سائرها[٣٢: ٩٥/٦] و[٣٣: ص٤٣٣]، وقد نال هذا النوع المرتبة الثانية حضورًا في شعر السيد الحميري، ومن أمثلة حضوره قوله: (من الوافر) [٣١: ص١٨٥]

ألا إنّ الوَصيّة دونَ شكٍّ ... لخيرِ الخلق من سامٍ وحامِ

نجد أن الجناس غير التام واضح في هذا البيت بين لفظتي (سام، حام)، وهما من أولاد النبي نوح (عليه السلام) الذين آمنا برسالة نبوته، وركبا معه السفينة تفاديًا للطوفان[٣٤: ١٣٠/١]' فظهر الاختلاف في حرف واحد، وقد خلق التجانس بين هاتين الكلمتين جرساً موسيقيًا جميلًا أسهم في إظهار منزلة الممدوح من جهة،

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

ومنزلة هاتين الشخصيتين التاريخيتين من جهة أخرى. ونجده في موضع آخر يوظف شخصيتين أخريين عن طريق استعماله للجناس غير التام في قوله: (من البسيط) [٣١: ص٢٠٠]

ولا ابنُ آدمَ قابيل اللعين أخو هابيل إذ قرّبا للهِ قرْبانا

نلحظ في هذا البيت أن الشاعر جانس بين لفظة (قابيل) التي حملت معنى ابن نبي الله آدم (عليه السلام)، وبين لفظة (قابيل) وهو الابن الآخر للنبي آدم (عليه السلام)، وهما لفظتان متفقتان بالوزن والقافية، زيادة على أنهما متفقان بعدد الحروف أيضا، وقد منح هذا الانسجام البيت الشعري إيقاعًا صوتيًّا جميلًا تطرب له الأسماع.

ومن أمثلة الجناس غير التام التي وردت في شعره، قوله: (من مخلع البسيط) [٣١: ص٢٦] وينظر[٣١: ص١١، ١٣٠، ١٥٩، ١٧١، ١٨٧، ٢٠٤، ٢١٠، ٢١٦]

يا آل ياسينَ يا ثِقاتي أنتمْ مَوَاليَّ في حَياتي

وَعُدّتي إذ دَنت وفاتي بِكمْ لدَى مَحْشرِي نجَاتي

وقع الجناس غير التام في هذين البيتين بين الألفاظ (ثقاتي، حياتي) و (وفاتي، نجاتي)، أراد الشاعر من ذلك تحقيق تقارب صوتيّ بين الألفاظ كاشفًا به عن قدرته على تسخير كلماته وتوظيفها للتعبير عما يجول فيه من مشاعر وأحاسيس، لما يمتلكه من ثراء لغوي أسهم في تزيين شعره بموسيقى تمتع الأسماع وتغني المعنى.

٣- الجناس التام: وهو أن تتفق اللفظتان في ((أنواع الحروف، وأعدادها، وهيئاتها، وترتيبها))[٣٢: ٣٨٢/٢] مع اختلاف المعنى، ومن استقرائنا لشعر السيد الحميري وجدنا أن هذا النوع من الجناس قليل الحضور مقارنةً بالأنواع الأخر، ويبدو أن سبب ذلك هو مسايرته للعديد من العلماء الذين لا يحسنون الإكثار منه والإسراف فيه معللين ذلك بـــ((أن المعاني لا تدين في كل موضع لما يجذبها التجنيس إليه، إذْ الألفاظ خدم للمعاني))[٣٥:ص١٨]، زيادة على أن الإكثار منه يجعل الشاعر متكلفًا، وعلى الرغم من قلة حضوره فقد كانت له حظوة جمالية بارزة في شعر السيد الحميري لما يمثله من اتفاق تام بين شكل الكلمة وصوتها، ومن أمثلته التي وردت، قوله: (الوافر) [٣١:ص٢٠]

فسِبْط سِبْط إيمانٍ وَحِلمٍ وَسِبْط غيَّبَتهُ كرْبَلاءُ

حصل الجناس التام في هذا البيت في لفظة (سِبْطٌ) والمقصود بالأولى التي وردت في صدر البيت هو الإمام الحسن بن علي (عليهما السلام)، أما الثانية التي وردت في عجز البيت فحملت معنى الإمام الحسين بن علي (عليهما السلام)، مشيرا بقوله هذا إلى حديث النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم):((حسينٌ منّي، وأنا منه، أَحبَّ اللهُ من أحبَّ حُسينا، الحسَنُ والحسينُ سبطان من الأسباطِ))[٣٦: ١٩٤/٣] و[٣٧: ٥١/١] و[٣٨: ٦٥٨/٥]، وبذلك نرى أن هاتين اللفظتين قد اتفقتا في اللفظ واختلفتا في المعنى، وقد حقق هذا الاختلاف نوعًا من التعجب والجمال داخل البيت الشعري، زيادة على أنه أدهش القارئ/ المتلقي بإيراد لفظ آخر حمل معنىً مغاير لمعنى اللفظ الأول، ويتطلب هذا الأمر من المتلقي أن يكون أكثر تركيزا كي لا يعتقد أن الأمر مجرد تكرار. ومثل ذلك

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

قوله من قصيدةٍ مدح بها أمير المؤمنين علي (عليه السلام): (من مجزوء الوافر) [٣١:ص١٢٢] وينظر[٣١: ص١٢٩، ١٣٤، ١٣٥]

وقدْ بايعَ جبريل فنِعْمَ البايعُ المشترِ

وقع الجناس التام بين لفظة (بايع) الأولى التي حملت معنى المبايعة، ولفظة (البايعُ) الثانية التي جاءت بمعنى البيع وهو نقيض الشراء، وهنا نلمح غاية الشاعر في إظهار المعنى فعمد إلى المجانسة التامة بين اللفظتين إيماناً منه بأهمية الجناس التام لإظهار المعنى وتبيانه، فاستعمال هذا النوع من الجناس من قبل الشاعر الحميري يعود إلى قابليته على ادهاش المتلقي مشكلًا لديه انفعالًا جماليًا منبعه التناسق والتآلف بين الألفاظ المتجانسة، إذ نجح السيد الحميري في استغلال طاقات اللغة، ودلالتها الصوتية، وجرس ألفاظها لغرض عرض المبادئ والقيم التي يحتاجها الفرد المسلم كي يحافظ على قنوات الارتباط بالله والانشداد إليه، وأحد تلك الطرق وأوضحها مسلكاً طريق الولاية للرسول محمد (صلى عليه وآله الأطهار).

نلحظ –مما سبق– أن استعمال الشاعر الحميري لفن الجناس بمختلف أنواعه في شعره، قد جاء عفويا غير متكلفٍ –وهو الغالب– مما أسهم بشكل كبير في تصوير حالته النفسية، فضلًا عما أفاده هذا اللون البديعي الجميل في تقوية النغمة الإيقاعية لموسيقى قصائده.

المبحث الثاني:– الطباق:

الطباق لغةً:

جاء في لسان العرب: ((تطابق الشيئان بمعنى تساويا))[١٩: ٥/١٥٤]' وفي المصباح المنير: ((الطبق من أمتعة البيت والجمع أطباق مثل سبب أسباب، ومثل جبل جبال، وأصل الطبق الشيء على مقدار الشيء مطبقًا له من جوانبه كالغطاء له، ومنه يقال: أطبقوا على الأمر إذا اجتمعوا عليه متوافقين غير متخالفين))[٣٩:ص١٤٠]' أما صاحب كتاب العين فقد عرف الطباق قائلًا:((طابق بين الشيئين إذا جمعت بينهما على حذوٍ واحدٍ))[٢٢: ٨/٧٤].

الطباق اصطلاحًا: هو أحد المحسنات البديعية التي يرتكز عليها الشعر العربي، لما له من وظيفة مؤثرة في خلق الصور الذهنية والنفسية المتضادة في توكيد المعنى، التي يكتسب عبرها النص الشعري جمالًا وبهاءً[٣٣: ص٤٤٣]. ولقد تناوله علماء البلاغة في مصنفات وعرفوه بعدة تعريفات، قال أبو هلال العسكري(ت ٣٩٥هـ) في تعريفه: ((الجمع بين الشيء وضده في جزء من أجزاء الرسالة أو الخطبة أو البيت من بيوت القصيدة مثل الجمع بين السواد والبياض والليل والنهار والحر والبرد)) [٢٥:ص٣١٦]، وعرّف ابن الاثير (ت٦٣٠هـ) هذا المحسن البديعي قائلًا: ((المطابقة الجمع بين الشيء وما يقابله من الكلام))[٤٠: ١/١٤١]، أما العلوي (ت٧٠٥هـ) فقد وسمه بالتكافؤ، إذ قال:((ويقال له الطباق والتكافؤ والطباق هو أن يؤتى بالشيء وضده في الكلام))[٤١: ص٣٧٦]، وأسماه الخطيب القزويني (ت ٧٣٩هـ) المطابقة، وعرفه قائلًا: ((هي الجمع بين المتضادين أي معنيين متقابلين في الجملة، ويكون ذلك إمّا بلفظين من نوع واحد))[٣٢: ٦/٦].

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

نلحظ –من النظر في التعريفين اللغوي والاصطلاحي– عدم وجود توافق بينهما، فاللغوي يدل على الموافقة بين الشيئين، أما الاصطلاحي فيدل على الجمع بين اللفظين المتضادين، وعلى الرغم من أنه محسن معنوي إلا أن له صلة وثيقة بموسيقى الألفاظ [٤٢:ص٤٤]؛ لأنّ((له القدرة على خلق ألحان متضادة على المستوى الفكري والموسيقي))[٤٣:ص٣٥٤]، فهو محسن بديعي يضفي على النص الشعري الجمال الذي يفتقده، زيادة على أنه يعطي للجملة معناها ويوضح المقصود منها، لذا فهو حلية بلاغية جمالية تسهم في صنع شعرًا يحمل الكثير من العذوبة واللّحن الموسيقي، وتكمن أهمية الطباق في أنّه ((يخلق صورًا ذهنية ونفسية متعاكسة يوازن فيما بينهما عقل القارئ ووجدانه فيتبين ما هو حسن منها ويفصله عن ضده))[٣٣:ص٤٤٣]، كذلك يؤدي الطباق إلى إيضاح المعنى وتقريب الصورة الشعرية إلى المتلقي[٤٤: ص٢٧٥]. وسنسلط الضوء في دراستنا هذه على نوعين من أنواع الطباق التي كان لها حضورٌ جميلٌ في شعر السيد الحميري، وهما:

١– طباق الإيجاب: ((وهو ما كان طرفاه مثبتين معًا أو منفيين معًا)) [٤٥:ص١٩٨].

ومن أمثلة هذا النوع التي وردت في شعر السيد الحميري، قوله: (من الطويل) [٣١: ص٤٩]

فيمْكث حِينا ثم يظهرُ حَيْنهُ فيمْلأ عدلا كل شرق ومَغرِب

بِذاكَ أدينُ الله سِرًّا وجَهْرَة ولسْت وإنْ عوتبت فيه بمَعتبِ

ظهر الطباق في البيت الأول بين الفعلين (يمكث–يظهر)، وظهر أيضا بين الاسمين (شرق–غرب)، ثم ظهر في البيت الثاني بين الاسمين (سر–جهر)، وحضر هذا الطباق موظفًا في خدمة القضية العقائدية المتمثلة بالإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف)، باستعمال الشاعر للثنائية الضدية المتمثلة بـــ(الظهور–الخفاء، العدل–الجور)، مقتبسًا ما ورد في الأثر الشريف ((يملأ الأرض قسطًا وعدلًا كما ملئت ظلمًا وجورًا))[١:٤٦/٤٢٠]، وقد يفسر هذا الطباق لتلك الانفعالات الداخلية التي يعاني منها الشاعر، فنلحظ أن حضوره كان من حيث المعنى فقط ؛ لأنّ توازنهم من حيث العروض غير تام، وقد عمل ذلك على توفير جمال موسيقي مؤثر في الحواس جميعا، زيادة على تقوية المعنى وتوكيده.

ومن أمثلة الثنائيات الضدية العقائدية الأخرى التي وظفها السيد الحميري في شعره، ثنائية (الموالاة– المعاداة) لأهل البيت (عليهم السلام) لاسيما الإمام علي (عليه السلام) كما جاء في الدعاء الشريف للنبي محمد (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) يوم الغدير، حين قال: ((اللهم والِ من ولاه، وعاد من عاداه))[٤٧: ٤/ ٢١٠] و[٤٨: ١/١٢٦]؛ إذ وظف الشاعر الحميري هذا الحديث، قائلًا: (من الرجز) [٣١: ص١٦٤–١٦٥] وينظر[٣١: ص٢٦، ٤٧، ١٠٦، ١١١، ١٢٢، ١٢٣، ١٥٨، ٢٠٣]

كف عن الشرّ فقلت لا تقل ولاتخل أكف عنْ خيرِ العمل

... ...

أحبُّ مَنْ آمَنَ بالله ولمْ يشركْ بهِ طرْفة عيْنٍ في الأزَل

... ...

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

يا ربّ والٍ من يُوالي حَيْدرًا وعادِ مَنْ عاداهُ واخذل مَن خذل

طابق الشاعر بين (الشر–الخير، الإيمان–الشرك، الموالاة–المعاداة) وهو طباق إيجاب استعمله للتعبير عمّا يجول بداخله من جهة، زيادة على توثيق العلاقة المترابطة بين تلك الثنائيات من جهة أخرى، ولقد حققت تلك الثنائيات المتضادة إيقاعًا موسيقيًا داخليًا متناسقًا زاد من قوة النغم الموسيقي، لذا عمد إلى الجمع بين الشيء وضده ليقوي الفكرة التي يريد إيصالها إلى ذهن القارئ/ المتلقي، ويعزز المعنى ويزيده جمالًا ورونقًا.

٢– طباق السلب: ((وهو ما كان أحد طرفيه مثبتًا والآخر منفيًا، أو ما اختلف فيه الضدان إيجابيا وسلبيا، وقد يكون أحدهما أمرًا والآخر نهيًا))[٤٥:ص١٩٩]. وهذا النوع أقل حضورا في شعر السيد الحميري من طباق الإيجاب، ومن أمثلة حضوره في شعر السيد الحميري، قوله: (من الوافر) [٣١:ص٢٢٥]

شهِدْت وما شهِدْت بغيْرِ حق بأنّ الله ليس بذي شبيهِ

حصل طباق السلب في هذا البيت بين الفعل (شهد ونفيه ماشهد) وقد أراد الشاعر من خلال ذلك إيصال صورة حقيقية إلى المتلقي لا تقبل الشك بأي حال من الأحوال مفادها أنّ الله واحد أحد ليس كمثله مثيل، فجاء بالفعل (شهد) الذي يدل على اليقين المتحقق لهذه الرؤية الحقيقية، ولقد أفاد الشاعر عبر لجوئه لاستعمال تقنية طباق السلب في تقوية المعنى الدال على اثبات فكرته هذه على وجه الحقيقة لا الخيال، وجعله واضحًا جميلًا لا غموض فيه ولا تعقيد.

وفي مثال آخر نجده يجمع أيضا بين لفظين متضادين بصيغة طباق السلب، وهما الفعل المثبت (يرد ونفيه لا يرد)، إذ يقول: (من الكامل) [٣١: ص٤٧] وينظر[٣١:ص٩٨، ٩٩، ١٤٤، ١٥٩]

وَمَتى يَمُت يَرِدِ الجَحيم ولايَرِدْ حَوْضَ الرّسولِ وإنْ يَرِدْهُ يُضْرَبِ

وقد أفصح هذا النوع من الطباق عن المقدرة البلاغية لدى الشاعر، وبراعته في إيصال المعنى بهذه التقنية البديعية الجمالية، والكشف عن قيمته ودلالته، ومصدر الجمال في هذا النوع من الطباق –أعني طباق السلب– هو لإثارة الانتباه إلى الفكرة بالموازنة بين الشيء ونفيه، لتوليد الإبداع الفني للمعنى وتوكيده؛ لأنّ المعنى الحقيقي للفظة لم يكن واضحًا لدى المتلقي من دون معرفته وعلمه بضدها [٢٥: ص٣١٧].

نلحظ –مما تقدم– أن الشاعر الحميري قد أجاد في الإتيان بظاهرة الطباق –بنوعيه (الإيجاب والسلب)– في شعره، قاصدًا منها خدمة المعاني التي أرادها وتقويتها، زيادة على مساهمته في إضفاء النغمات الموسيقية الجمالية على شعره، التي تهدف إلى وضوح المعنى ورسوخه في ذهن المتلقي من جهة، وخلق موسيقى داخلية متوازنة داخل النص الشعري من جهة أخرى، إذ استطاعت الموسيقى الصوتية فيه أن ترتقي بالأبيات الشعرية إلى أعلى درجات الأناقة الوجدانية، إذ تعد الموسيقى من أقوى وسائل الإيحاء وأقرب إلى الدلالات اللغوية والنفسية في سيولة أنغامها.

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

الخاتمة

خلص هذا البحث إلى جملة من النتائج، يمكن إجمالها بالآتي:

١- إنّ الموسيقى الداخلية المتمثلة بفن الجناس قد شكلت حضورًا مائزا في شعر السيد الحميري، وكان الشاعر بارعًا في توظيفه بمختلف أنواعه، وقد ترك هذا الفن الجمالي ثراءً موسيقيًا متدفقًا ساعد على خلق جرس موسيقي مميز، وأسهم في جلاء المعنى ووضوحه.

٢- أن من يستقرئ شعر السيد الحميري يجد أن لأسلوب الجناس توهجًا جماليًا، فقد كان حاضرًا بمستوياته المتداولة في أبياته الشعرية زيادة على أنه جاء لاستخلاص المعاني المخبوءة في عمق التشكلات اللفظية، وكان لهذه التأثيرات الإيقاعية كلها والمزاوجة النغمية أثرها البالغ في جعل الأبيات الشعرية تتسم بالجمالية والفنية التلقائية التي لا يبدو فيها فن الجناس مبالغًا أو متكلفًا وإنما مستجيبًا للتدفقات الشعورية، وهو في جميع الأنواع –التي وردت– لم يكن حلية لفظية فحسب؛ بل هو تقنية موسيقية لها أهدافها وفوائدها المعنوية بما يحققه من ترابط للنصوص وتماسكها.

٣- أجاد الشاعر الحميري في توظيف فن الطباق بنوعيه الإيجاب والسلب، إيمانًا منه بأهمية هذا اللون البديعي، زيادة على أن وجوده قد كشف عن سطوة الشاعر وهيمنته على الألفاظ والإيقاعات، فجمالية التضاد تتوزع على عناصر صوتية وأخرى دلالية مجيء المعنى وضده التي ولدت تلونًا بديعيًا وشح أبيات السيد الحميري بالجمال البلاغي/ الصوتي الذي وظفه الشاعر لتعميق الدلالة في ذهن المتلقي وجلب انتباهه، وحينئذ يتولد الإدراك الجمالي عند المتلقي من هذه الفاعلية الصوتية.

CONFLICT OF INTERESTS

There are no conflicts of interest

قائمة المصادر والمراجع

[١] الأغاني، أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد الاصفهاني، دار الكتب المصرية، مصر، ١٩٣٥م.

[٢] الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم، بيروت، ط٥، ١٩٨٠م.

[٣] أعيان الشيعة، محسن الأمين، تحقيق: حسن الأمين، دار التعارف، بيروت، (د.ت).

[٤] شاعر العقيدة، السيد الحميري، آية الله السيد محمد تقي الحكيم، تحقيق: د. علاء الدين السيد محمد تقي الحكيم، الناشر ديوان الوقف الشيعي، أمانة مسجد الكوفة، ط١، ٢٠١٥م.

[٥] لسان الميزان، شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن حجر العسقلاني، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط٢، ١٩٧١م.

[٦] تاريخ الأدب العربي، كارل بروكلمان، نقله إلى اللغة العربية، الدكتور رمضان عبد التواب، دار المعارف، مصر، ١٩٧٥م.

[٧] مدينة معاجز الأئمة الإثنى عشر ودلائل الحجج على البشر، السيد هاشم بن سليمان البحراني، مؤسسة المعارف الإسلامية، ط١، ١٤١٣هـ.

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

[٨] الغدير في الكتاب والسنة والأدب، العلامة الشيخ عبد الحسين أحمد الأميني النجفي، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٤م.
[٩] رجال الكشي، أبو عمرو محمد بن عمرو بن عبد العزيز الكشي، قدم له وعلق عليه ووضع فهارسه السيد أحمد الحسيني، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط١، ٢٠٠٩م.
[١٠] فوات الوفيات، ابن شاكر الكتبي، تحقيق: علي محمد بن يعوض الله وآخر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.
[١١] تاريخ آداب اللغة العربية، تأليف: جُرجي زيدان، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، ٢٠١٣م.
[١٢] معجم الشعراء الإسلاميين، د. ليلى محمد ناظم الحيالي، مكتبة لبنان ناشرون، ٢٠١٨م.
[١٣] حديث الأربعاء، طه حسين، دار المعارف، مصر، ط٢، (د.ت).
[١٤] سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: محمد عظيم العرسوسي، بيروت، ط٩، ١٤١٣هـ.
[١٥] العقد الفريد، أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ١٩٨٧م.
[١٦] أخبار معرفة الرجال، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، تحقيق: مهدي الرجائي، مؤسسة آل البيت(إحياء التراث)، قم، (د.ت).
[١٧] معالم العلماء، ابن شهر آشوب، شرحه: عباس إقبال، مطبعة فردين، طهران، ١٣٥٣هـ.
[١٨] خلاصة الأقوال في معرفة الرجال، للعلامة أبي منصور الحسن بن يوسف بن المطهر الأسدي الحلي، تحقيق: الشيخ جواد الفيومي، مؤسسة نشر الفقاهة، قم، ط٤، ١٤٣١هـ.
[١٩] لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، تحقيق: أمين محمد عبد الوهاب ومحمد صادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط٣، ١٩٥٦م.
[٢٠] معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار إحياء الكتب العلمية، القاهرة، ١٣٦٩هـ.
[٢١] مختار الصحاح، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت، ط٥، ١٩٩٩م.
[٢٢] كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨٠م.
[٢٣] المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، القاهرة، مكتبة الشروق الدولية، ط٤، ٢٠٠٤م.
[٢٤] البديع، لأبي العباس عبد الله بن المعتز، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، ط٢، ٢٠٠٧م.
[٢٥] كتاب الصناعتين(الكتابة والشعر)، تصنيف أبي الهلال العسكري، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ١٩٧١م.
[٢٦] مفتاح العلوم، أبو يعقوب السكاكي، مطبعة البابي الحلبي وأولاده، ط١، ١٩٣٧م.

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

[٢٧] المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين ابن الأثير، قدم له وحققه وشرحه وعلق عليه د. أحمد الحوفي وبدوي طبانة، منشورات دار الرفاعي بالرياض، ط٣، ١٩٨٣م.

[٢٨] تهذيب الإيضاح، عز الدين التنوخي، مطبعة الجامعة السورية، دمشق، ١٩٤٨م.

[٢٩] شروح التلخيص في علوم البلاغة، للخطيب القزويني، شرحه وخرج شواهده: محمد هاشم دويدري، دار الجيل، بيروت، ط٢، ١٩٨٢م.

[٣٠] فن الجناس (بلاغة، أدب، نقد)، علي الجندي، دار الفكر العربي، مطبعة الاعتماد، مصر، (د.ت).

[٣١] ديوان السيد الحميري، إسماعيل بن محمد، شرحه وضبطه وقدم له ضياء الأعلمي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٩م.

[٣٢] الإيضاح في علوم البلاغة، للخطيب القزويني، تحقيق: لجنة من أساتذة كلية اللغة العربية بالجامع الأزهر، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، (د.ت).

[٣٣] البلاغة والتطبيق، أحمد مطلوب، د. كامل حسن البصير، دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، ط٢، ١٩٩٩م.

[٣٤] البداية والنهاية، عماد الدين بن إسماعيل بن كثير الدمشقي، راجع نصه وضبطه وقدم له د. سهيل زكار، دار ومكتبة الهلال، بيروت،ط١، ٢٠٠٨م.

[٣٥] أسرار البلاغة في علم البيان، عبد القاهر الجرجاني، صححه وعلق على حواشيه: السيد محمد رشيد رضا، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٩٨١م.

[٣٦] المستدرك على الصحيحين، للإمام الحافظ أبي عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، (د.ت).

[٣٧] سنن ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار صادر، بيروت، ١٩٥٧م.

[٣٨] سنن الترمذي، للترمذي، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ط٢، ١٩٨٣م.

[٣٩] المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، للعلامة أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، المكتبة العلمية، بيروت– لبنان، ١٩٨٧م.

[٤٠] الكامل في التاريخ، ابن الأثير عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٩٨٩م.

[٤١] الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة العلوي، مراجعة، محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٥م.

[٤٢] موسيقى الشعر، د. إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط٦، ١٩٨٨م.

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

[٤٣] عناصر الإبداع الفني في شعر أحمد مطر، كمال أحمد غنيم، منشورات ناظرين، مطبعة ستارة، ط١، ٢٠٠٤م.
[٤٤] فنون بلاغية، زين كامل الخويسكي وأحمد محمود المصري، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ط١، ٢٠٠٦م.
[٤٥] فنون بلاغية (فن البديع)، د. أحمد مطلوب، دار البحوث العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٨م.
[٤٦] الكافي، محمد بن يعقوب الكيليني، منشورات الفجر، بيروت، ١٤٢٨هـ.
[٤٧]مسند أحمد بن حنبل، أبو عبد الله الشيباني، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٩٩٩م.
[٤٨]روضة الواعظين، محمد بن الفتال النيسابوري، تقديم: السيد محمد مهدي الخرسان، منشورات الرضي، قم المقدسة، إيران، (د.ت).

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq